لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، مع ذئب وجداه أخذ صبياً، فدخل الصَّبيُّ الحرم، فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللاّت والعُزّى لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها. كذا في البداية (٦/ ١٤٦).

تسخير البحار لهم

تسخير نيل مصر لعمر رضي الله عنه

أخرج ابن عبد الحَكَم في فتوح مصر، وأبو الشيخ في العظمة، وابن عساكر عن قيس ابن الحجّاج عمن حدثه، قال: لمّا فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر؛ أتى أهلها إليه حين دخل بَؤنة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سُنّةً لا يجرى إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها شيئاً من الحُلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام؛ فإنّ الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بَؤنة وأبيب ومَسْري، لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر، قد أصبت، أن الإسلام يهدم ما قبله، وقد بعثتُ إليك ببطاقة، فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي، فلمّا قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر:

أما بعد: فإنْ كنتَ تجري من قبلك فلا تجرِ، وإنْ كان الواحد القهار يجريك؛ فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك».

فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيّأ أهل مصر للجلاء وللخروج منها؛ لأنهم لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً، وقطع تلك السُّنّة السوء عن أهل مصر. كذا في منتخب الكنز (٤/ ٣٨٠). وأخرجه الحافظ أبو القاسم اللّالكائي الطبري في كتاب السنّة عن قيس بن الحجاج نحوه، كما في التفسير لابن كثير (٣/ ٤٦٤).

تسخير البحر لأبي ريحانة رضي الله عنه

أخرج إبراهيم بن الجنيد في كتاب الأولياء عن عروة الأعمى مولى بني سعد، قال:

ركب أبو ريحانة البحر، وكانت له صحف، وكان يخيط، فسقطت أبرته في البحر، فقال: عزمت عليكَ يا ربِّ إلا رددتَ عليَّ إبرتي، فظهرت حتى أخذها. كذا في الإصابة (٢/ ١٥٧).

تسخير البحر للعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم في الدلائل (ص ٢٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لمَّا بعث النبيّ ﷺ العلاء بن الحضرميّ رضي الله عنه إلى البحرين، تبعته، فرأيت منه خصالاً ثلاثاً لا أدري أيتهن أعجب: انتهينا إلى شاطىء البحر، فقال: سَمُّوا الله واقتحموا، فسمَّينا واقتحمنا، فعبرنا وما بلّ الماءُ أسفل خفاف إبلنا. فلمَّا قفلنا سرنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلَّى ركعتين، ثم دعا؛ فإذا سحابة مثل الترس، ثم أرخت عزاليها[1]، فسقينا واستقينا. ومات فدفنَّاه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد، قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا إليه فلم نره ـ يعني في القبر ـ. وأخرجه أبو نعيم أيضاً في الحلية (١/ ٨) عن أبي هريرة نحوه مقتصراً على قصة البحر، وزاد: فلما رآنا ابن مُكَعْبِر عامل كسرى، قال: لا والله، لا نقابل هؤلاء، ثم قعد في سفينة فلحق بفارس، وأخرجه الطبراني في الثلاثة عن أبي هريرة نحوه. قال الهيثمي (٩/ ٣٧٦): وفيه إبراهيم بن مَعْمَر الهروي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه، قال: أدركتُ في هذه الأمة ثلاثاً... فذكر الحديث، وفيه: قال: ثم جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً، واستعمل عليهم العلاء بن الحضرميّ، قال أنس رضي الله عنه: وكنت في غَزاته فأتينا مفازينا، فوجدنا القوم قد نُذروا بنا[2]، فعَفَوا[3] آثار الماء ـ والحرُّ شديد ـ فجَهَدنا العطشُ ودوابُّنا، وذلك يوم الجمعة، فلمَّا مالت الشمس لغروبها، صلَّى بنا ركعتين، ثم مدَّ يده إلى السماء، وما نرى في السماء شيئاً، قال: فوالله، ما حطَّ يده حتى بعث الله ريحاً، وأنشأ سحاباً، وأفرغَ حتى ملأت الغُدُر[4] والشِّعاب[5]، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا، ثم أتينا عدُوَّنا وقد جاوزوا

---

(١) «العزالي»: جمع عزلاء، وهو فم المزادة الأسفل، فشبّه اتّساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة «النهاية» (٣/ ٢٣١).

(٢) أخبروا عن مسيرنا إليهم.

(٣) «عَفَوا»: محوا.

(٤) «الغُدُر»: جمع غدير أي النهر.

(٥) «والشِّعاب»: جمع شِعْب وهو مسيل الماء في بطن أرض.

خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، ثم قال: أجيزوا باسم الله، قال: فأجزنا ما يبلّ الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدوّ عليه، فقتلنا، وأسرنا، وسبينا، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته، فأجزنا ما يبلُّ الماء حوافر دوابّنا... فذكر الحديث.

وذكر البخاري في التاريخ لهذه القصة إسناداً آخر، وقد أسنده ابن أبي الدنيا عن سَهْم ابن مِنْجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي... فذكره، وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم، يا عليّ، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، وقال في البحر: اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك. كذا في البداية (٦/ ١٥٥). وأخرجه أبو نُعَيم في الحلية (١/ ٧) عن سَهْم بن مِنْجاب نحو رواية ابن أبي الدنيا مقتصراً على قصة البحر، وفي روايته: فتقحّم بنا البحر، فخضنا ما يبلغ لبودنا[1] الماء، فخرجنا إليهم، وقد ذكر ابن جرير في تاريخه (٢/ ٥٢٢) وابن كثير في البداية (٦/ ٣٢٨): بَعْثَ أبي بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين... فذكرا قصة نَفْر الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم وإقبال الإبل بما عليها، وقصة خَلْق الله تعالى إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القَراح[2]، وقتالهم المرتدين. قال في البداية (٦/ ٣٢٩): وقال ـ العلاء ـ للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين[3] لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الشقّة[4] بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم، يا كريم، يا أحد، يا صمد، يا حيّ، يا محيي، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، لا إلٰه إلا أنت يا ربّنا، وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة دَمِثة[5]، فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى رُكَب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخرة، فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز[6] غنائمهم، ثم رجع

(١) لبودنا: جمع لِبْد وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج.
(٢) «الماء القراح» الماء الذي لم يخالطه شيء.
(٣) «دارين»: محطّ سفن بالبحرين، يجلب إليها المسك من الهند. «معجم البلدان» (٢/ ٤٣٢).
(٤) «الشقة»: المسافة.
(٥) «دمثة»: لينة.
(٦) «احتاز»: ضمّ وجمع.

فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم. انتهى. وهكذا ذكره ابن جرير (٢/ ٥٢٦) عن السَّريّ عن شعيب عن سَيف بإسناده عن منجاب بن راشد، فذكر القصة بطولها جداً.

تسخير دجلة للمسلمين في فتح المدائن

أخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٢٠٨) عن ابن الرُّفيل، قال: لما نزل سعد رضي الله عنه بَهُرسِير[١] وهي المدينة الدنيا، طلب السفن ليعبر الناس إلى المدينة القصوى، فلم يقدروا على شيء، وجدهم قد ضمُّوا السفن، فأقاموا ببهرَسير أياماً من صَفَر يريدونه على العبور، فيمنعه الإبقاء على المسلمين، حتى أتاه أعلاج[٢]، فدلُّوه على مخاضة[٣] تخاض إلى صلب الوادي، فأبى وتردّد عن ذلك، واقتحم المدّ[٤] فرأى رؤيا؛ أنّ خيول المسلمين اقتحمتها، فعبَرتْ وقد أقبلت من المدّ بأمر عظيم؛ فعزم لتأويل رؤياه على العبور، فجمع سعد الناس؛ فحمد الله وأثنى عليه، فقال: إنّ عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر؛ فلا تخلصون إليهم، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا، فيناوشونكم[٥] في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتوا منه، وإني قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل، فندب سعد الناس إلى العبور، فقال: من يبدأ ويحمي لنا الفراض[٦] حتى يتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم[٧] من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو، وانتدب بعده ستمائة رجل من أهل النَّجَدات[٨]، واستعمل عليهم عاصماً، فسار عاصم فيهم حتى وقف على شاطىء دجلة، ثم قال: من ينتدب معي نمنع الفراض من عدوكم؟ فانتدب له ستون منهم، فجعلهم نصفين: على خيول إناث وذُكور ليكون أسلس لعَوْم الخيل، ثم اقتحموا دجلة، فلما رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها، أذن للناس في الاقتحام، وقال: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول

---

(١) في الأصل «نهرشير» وهو تصحيف، والصواب بهرسير، من نواحي سواد بغداد قرب المدائن «معجم البلدان» (١/ ٥١٥).

(٢) «أعلاج»: جمع عِلج وهو الرجل من كفار العجم.

(٣) «مخاضة»: موضع الخوض في الماء.

(٤) وفي «تاريخ الطبري» وفجئهم المدّ.

(٥) «فيناوشونكم»: فيقاتلونكم.

(٦) «الفراض»: يعني ثُغرة المخاضة من الناحية الأخرى. كما في البداية (٧/ ٦٤).

(٧) في الأصل «ولكن لا تمنعوهم» والتصويب من «تاريخ الطبري» (٣/ ١٢٠).

(٨) «النجدات»: أهل الشجاعة.

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وتلاحق عُظْم الجند، فركبوا اللُّجَّة وإنَّ دجلة لترمي بالزَّبَد، وإنها لَمسْوَدَّة[1]، وإنَّ الناس ليتحدثون في عَوْمهم، وقد اقترنوا[2]، كما يتحدثون في مسيرهم على الأرض، ففجأوا[3] أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم، فأجهضوهم، وأعجلوهم على حمل أموالهم[4]، ودخلها المسلمون في صَفَر سنة ست عشرة، واستولوا على كل ما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف[5]، وما جمع شيرويه ومَنْ بعده. وذكره الطبري في تاريخه (٣/ ١١٩) عن سيف مع زيادات، وذكره في البداية (٧/ ٦٤) بطوله.

وأخرج أبو نُعيم في الدلائل (ص ٢٠٩) عن أبي بكر بن حفص بن عمر، قال: كان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي رضي الله عنهما، فعامت بهم الخيل، وسعدٌ يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنَّ الله وليَّه، وليظهرنَّ دينه، وليهزمنَّ الله عدوه؛ إن لم يكن في الجيش بَغْي[6] أو ذنوب[7] تغلب الحسنات، فقال له سلمان: إن الإسلام جديد، ذُلِّلت ـ والله ـ لهم البحار كما ذُلِّل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده! ليَخْرُجُنَّ منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً، فطبَّقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشطِّين، ولَهُمْ فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه ـ كما قال سلمان ـ لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد. وأخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ١٢١) عن أبي بكر بن حفص نحوه مع زيادة في أوله.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٢٠٩) عن أبي عثمان النَّهْدي رضي الله عنه: أنهم سلموا من عند آخرهم إلا رجل من بارق[8] يُدعى غَرقدة، زال عن ظهر فرس له شقراء، كأني أنظر إليها تنفض أعرافها[9] عُرياً[10] والغريق طاف، فثنى[11] القعقاع بن عمرو عنان

(١) في الأصل «لمسورة» والتصويب من «تاريخ الطبري» (٣/ ١٢٠).
(٢) «اقترنوا»: أي عام كل اثنين معاً.
(٣) في الأصل «فعجبوا» والتصويب من «الطبري».
(٤) في «تاريخ الطبري» (٣/ ١٢٠) فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم.
(٥) في الأصل «ألف ألف ألف» والتصويب من «الطبري».
(٦) «بغي»: ظلم.
(٧) في الأصل «ذيوث» والتصويب من «الطبري» (٣/ ١٢٠).
(٨) «بارق»: ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. «معجم البلدان» (١/ ٣١٩).
(٩) «أعرافها»: جمع عرف، وهو الشعر النابت في محدّب رقبة الفرس.
(١٠) في الأصل «عرقاً» وهو تصحيف والصواب «عرياً»: أي ليس عليها أحد.
(١١) في الأصل «فتناول» وهو تصحيف.

فرسه إليه، فأخذ بيده فجره حتى عبر، قال: وما ذهب لهم في الماء شيء إلا قَدَح كانت عِلاقته رثة، فانقطعت، فذهب به الماء، فقال الرجل الذي يُعاومُ صاحب القدح معيّراً له: أصابه القدر فطاح، وقال: والله إني على جديلة[1]، ما كان الله ليسلبني قدحي من بين أهل العسكر. فلمّا عبروا إذا رجل ممن كان يحمي الفراض؛ إذا بالقدح قد ضربته الرياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطىء، فيتناوله برمحه، فجاء به إلى العسكر يُعرّفه فأخذه صاحبه. وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٣/ ١٢٢) عن أبي عثمان وغيره نحوه.

وأخرج ابن جرير في تاريخه (٣/ ١٢٢) عن عمير الصائدي، قال: لما اقتحم سعد بالناس في دجلة اقترنوا، فكان سلمان قرينَ سعد رضي الله عنهما إلى جانبه يسايره في الماء، وقال سعد: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾[2] والماء يطمو[3] بهم وما يزال فرس يستوي قائماً إذا أعيى تُنشز له تَلْعة[4]، فيستريح عليها كأنه على الأرض، فلم يكن بالمدائن أمرٌ أعجب من ذلك، وذلك يوم الماء وكان يدعى يوم الجراثيم[5]. وأخرجه أبو نُعيم في الدلائل (ص ٢٠٩) عن عمير الصائدي نحوه؛ إلا أن في روايته: فلم يكن بالمدائن أمر أعجب من ذلك، ولذلك يدعى يوم الجراثيم، لا يعيي أحد إلا نَشَزت له جرثومةٌ يستريح عليها.

وأخرج ابن جرير في تاريخه (٣/ ١٢٣) عن قيس بن أبي حازم قال: خُضْنا دجلة وهي تطفح، فلمّا كنّا في أكثرها ماءً، لم يزل الفارس واقفاً ما يبلغ الماء حزامه. وأخرجه وأبو نعيم في الدلائل (ص ٢١٠) عن قيس نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن حبيب بن صُهبان[6] قال: قال رجل من المسلمين وهو حُجْر بن عديّ: ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو؟ هذه النطفة؟ ـ يعني دجلة ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً﴾[7] ثم اقتحم فرسه دجلة، فلما اقتحم، اقتحم الناس، فلمّا رآهم العدو قالوا: ديوان[8] فهربوا. كذا في التفسير لابن كثير (١/ ٤١٠) وعند أبي نعيم في الدلائل (ص ٢١٠) عن حبيب بن صُهبان أبي مالك، قال: لمّا عبر المسلمون

(١) «الجديلة»: الحالة الأولى «النهاية» (١/ ٢٤٨).
(٢) [٣٦/ سورة يس/ ٣٨].
(٣) «طما البحر»: ارتفع بأمواجه «النهاية» (٣/ ١٣٩).
(٤) «التلعة»: ما انحدر من الأرض وأشرف منها.
(٥) «الجراثيم»: الأماكن المرتفعة من الأرض.
(٦) في الأصل «ظبيان» والتصويب من «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٨٢).
(٧) [٣/ آل عمران/ ١٤٥].
(٨) «ديوان»: كلمة فارسية، أي العفاريت.

يوم المدائن دجلة، فنظروا إليهم يعبرون، جعلوا يقولون بالفارسية: ديوان آمذ[1] قال بعضهم لبعض: إنكم والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن، فانهزموا. وأخرجه ابن جرير في تاريخه (٣/ ١٢٣) عن حبيب نحوه.

وأخرجه البيهقي عن الأعمش عن بعض أصحابه كما في البداية (٦/ ١٥٥) قال: انتهينا إلى دجلة وهي مادّة، والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم اقتحم بفرسه، فارتفع على الماء، فقال الناس: بسم الله، ثم اقتحموا، فارتفعوا على الماء، فنظر إليه الأعاجم وقالوا: ديوان ديوان، ثم ذهبوا على وجوههم.

إطاعة النيران لهم

إطاعة النار لتميم الداري رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم في الدلائل (ص ٢١٢) عن معاوية بن حَزمَل قال: قدمتُ المدينة، فذهب بي تميم الداري[2] رضي الله عنه إلى طعامه، فأكلتُ أكلاً شديداً، وما شبعتُ من شدّة الجوع، فقد كنت أقمت في المسجد ثلاثاً لا أطعم شيئاً، فبينا نحن ذات يوم إذ خرجتْ نار بالحَرّة، فجاء عمر إلى تميم رضي الله عنهما، فقال: قم إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين، من أنا؟ وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما، فانطلقا إلى النار، قال: فجعل يحوشها[3] بيده هكذا حتى دخلت الشِّعب، ودخل تميم خلفها، وجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرَ!! وأخرجه البيهقي عن معاوية بن حَزمَل، قال: خرجت نار بالحرة، فذكر نحوه، كما في البداية (٦/ ١٥٣).

وأخرجه البغوي عن معاوية بن حَزمَل قال: قدمت على عمر رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، تائب من قبل أن يُقدر عليّ، فقال: من أنتَ؟ فقلت: معاوية بن حَزمَل خَتَن[4] مسيلمة، قال: اذهب فانزل على خير أهل المدينة، قال: فنزلت على تميم الداريّ، فبينا نحن نتحدث؛ إذ خرجت نار بالحرّة، فجاء عمر إلى تميم، فقال: يا تميم، اخرج،

---

(١) أي هم الجانّ.

(٢) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية صحابي، نسبته إلى الدار بن هانئ، من لخم، كان يسكن المدينة، أسلم سنة (٩ هـ) ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان، فنزل بيت المقدس، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد، وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين، روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً، مات بفلسطين رحمه الله تعالى سنة (٤٠ هـ). «أسد الغابة» (١/ ٢٥٦).

(٣) «يحوشها»: يجمعها.

(٤) «ختن»: أي زوج ابنته.